

بيدروس دِرْ ماتوسيان*

أرمن فلسطين: ١٩١٨-١٩٤٨**

ربما كانت عقود الانتداب الثلاثة، بالنسبة إلى أرمن فلسطين، هي الأعظم شأنًا بين مراحل وجودهم التي امتدت خمسة عشر قرناً في هذا البلد، فقد شهدت تلك الفترة تحولاً عميقاً اعترى هذه الجماعة بفعل التأثيرات المزدوجة الناجمة عن السياسة البريطانية في فلسطين، وعن موجات اللاجئين الأرمن المعدمين الهاربين من المذابح في الأناضول. وما تقدّمه هذه المقالة، على خلفية أواخر الحكم العثماني، هو إطلالة شاملة على هذه الجالية، بما في ذلك التعقيدات المرتبطة بالمراتب الدينية ودورها، واللقاء الذي كان صعباً في البداية بين الأرمن الأصليين والأغلبية اللاجئة، وسياسات هذه الجالية وجمعياتها، وتعافيها الاقتصادي الملحوظ. ففي أوائل أربعينيات القرن العشرين، بلغت الجالية الأرمنية ذروة نجاحها، لتتلقى في حرب ١٩٤٨ ضربة قاتلة لم تبلّ منها قط.

الجماعة إلى الانطواء على ذاتها بعد الحرب العالمية الأولى، وسناقش أدناه هذه الأسباب، لكنها تنبع بصورة أساسية من التحول العميق الذي اعترى الجالية بتأثير موجات اللاجئين المعدمين في أعقاب إبادة الأرمن. ومع أن هذه الدراسة تتناول الوجود الأرمني في فلسطين ككل، إلا إنها تركز بصورة خاصة على القدس التي لم تكن نواة الجماعات الأرمنية

كثيراً ما كانت الجالية الأرمنية في فلسطين، في أثناء الانتداب البريطاني، موضوعاً هامشياً بين موضوعات التاريخ الفلسطيني،^١ ويعود ذلك، في جزء منه، إلى قيود اللغة، إذ إن معظم المادة ذات الصلة كُتِبَ باللغة الأرمنية، غير أن هذه الفترة تمثل تحدياً حتى بالنسبة إلى الباحثين الأرمن نظراً إلى صعوبة الوصول إلى المحفوظات البطريركية الأرمنية وغياب الصحف الأرمنية المحلية اليومية أو حتى الأسبوعية في تلك الفترة. أمّا العوامل الأخرى فتتعلق بحجم الجالية الصغير وتهميشها النسبي فيما يخص القضايا السياسية الكبرى التي شغلت فلسطين خلال الانتداب. وقد عملت أسباب على دفع هذه

* أستاذ مساعد في كلية التاريخ / تاريخ الشرق الأوسط الحديث، جامعة نيراسكا - لنكولن.

** المصدر: *Journal of Palestine Studies* 161, vol. XLI, no. 1 (Autumn 2011), pp. 24-44.

ترجمة: ثائر ديب.

(يحدودهما الحديثة). ومن المؤشرات على أهمية الكنيسة الأرمنية في القدس رعايتها المشتركة - مع الكنيسة الأورثوذكسية اليونانية والكنيسة اللاتينية (الكاثوليكية الرومانية) اللتين تفوقانها ضخامة وقوة - الأماكن المقدسة المسيحية، بما في ذلك كنيسة القيامة وكنيسة المهد، وغيرهما من الأماكن العثمانيون على مكانتها فيما يتعلق بالأماكن المقدسة المتعددة من خلال ترتيبات بقيت على حالها من دون تغيير منذ القرن السابع عشر.^٤ وفي أثناء العهد العثماني، كان على بطريركية القدس الأرمنية أن تتخلى عن استقلالها الإداري لبطريركية إستانبول الأرمنية الجديدة التي تأسست في القرن الخامس عشر، والتي اعترفت بها الدولة العثمانية مركزاً للكنيسة الغريغورية الأرمنية في الإمبراطورية. غير أن بطريركية القدس تكيفت مع هذا الوضع الجديد، لأن الخضوع لم يكن منطوياً على الاعتراف بسلطة دينية أعلى،^٥ كما أنها ربما تكون قد انتفعت عملياً من هذا الوضع الجديد، إذ باتت تتلقى مساعدات مالية من بطريركية إستانبول، ودعماً من طبقة النبلاء الأرمن الثرية المتركة هناك في كفاحها من أجل الحفاظ على حقوقها في الأماكن المقدسة.^٦

وفي أواسط القرن التاسع عشر شرع العثمانيون في القيام بسلسلة من الإصلاحات (التنظيمات) التي كان بعضها معنياً بالنظام الملّي التقليدي التي كان لبعض المراتب الإثنية - الدينية غير المسلمة في ظلّ الحقّ في حكم ملّها بصورة مستقلة. وكانت هذه الإصلاحات اتّخذت لمواجهة القوميات الناهضة داخل الإمبراطورية، وخصوصاً بين الأقليات الدينية، عبر منح السكان العاديين أبناء هذه الأقليات فرصة تعبير أوسع فيما يتعلق بشؤونهم الملّية. وهذه هي الخلفية التي نُشر إزاءها "الدستور الوطني الأرمني" في سنة ١٨٦٣، وقامت على أساسه "الجمعية الوطنية الأرمنية" في إستانبول، التي

في فلسطين فحسب، بل كانت أيضاً، وعلى مر القرون، مركزاً روحياً عظيماً، وقبلة أساسية يحج إليها الأرمن من بقاع الأرض كافة. وخلال الانتداب، ازداد في الواقع ما تؤديه المدينة المقدسة وبطريركية مار يعقوب^٢ من دور إثني - ديني - ثقافي مسيطر، الأمر الذي يعود في معظمه إلى تضائل دور بطريركية إستانبول بعد الانهيار العثماني وصعوبة الوصول إلى المركز الروحي في إتشميادزين، في أرمينيا، بعد استيلاء السوفييات عليها في سنة ١٩٢٠. كما عمل النمو الاقتصادي في ظل الانتداب على استمرار اجتذاب القدس للأرمن من البلاد المجاورة، وخصوصاً سورية ولبنان ومصر.

خلفية تاريخية

يعود الوجود الأرمني في فلسطين إلى القرن الرابع الميلادي، حين بدأ الحجيج الأرمني بالوصول إلى القدس بعد الكشف عن الأماكن المقدسة المسيحية المنسوبة إلى القديسة هيلانة، والدة الإمبراطور قسطنطين المنتصر حديثاً (وكان الرومان بنوا فوق هذه الأماكن). وسرعان ما انتشرت الأديرة في الأراضي المقدسة، وبينها كثير من الأديرة الأرمنية، ومع القرن السابع باتت للكنيسة الأورثوذكسية الرسولية الأرمنية (التي تُعرف أيضاً باسم الكنيسة الغريغورية الأرمنية)، أسقفها في القدس.

وبرزت بطريركية القدس بشكلها الحالي إلى الوجود في العقد الأول من القرن الرابع عشر، عندما أعلنت أخوية مار يعقوب، وهي فرقة رهبانية أرمنية تأسست في المدينة المقدسة، رئيسها، الأسقف سرجيس، بطريركاً. وفي النهاية، باتت بطريركية القدس^٣ تسيطر سلطتها على الأرمن في مناطق شملت، تقريباً، كلاً من فلسطين وجنوب سورية ولبنان وقبرص ومصر، مع أن ولايتها في زمن الانتداب كانت مقتصرة على فلسطين وشرق الأردن

جالية أرمنية كاثوليكية صغيرة كانت موجودة أيضاً في القدس في أواسط القرن التاسع عشر،^{١٠} وكانت متركزة في حارة المسلمين من المدينة القديمة، لأن نيابة بطريركيته كانت تقع على طريق الآلام.

وكان أرمن القدس ينظرون إلى أنفسهم كجزء من المجتمع الفلسطيني العثماني، وكانت لغتهم الأولى هي العربية، على الرغم من تكلمهم الأرمنية ولغات أوروبية في كثير من الأحيان. ويمكن إلقاء نظرة سريعة على انخراط الجالية الأرمنية في حياة القدس التجارية وإدارتها المدنية في أواخر العهد العثماني من خلال قائمة أعدّها هاغوب طرزيباشيان، المشرف على التموين في البطريركية على مدى ثلاثين عاماً اعتباراً من سنة ١٩٦٠. فقد عمل الأرمن حلاقين، وحدادين، ونجارين، وبنائين، وحدائين، وصاغة، وخياطين، وصيارفة، وغير ذلك من المهن الأخرى،^{١٢} كما أدوا دوراً سياسياً أبعد كثيراً من حدود جماعتهم، فعلى سبيل المثال، كان بوغوص أفندي زكريان نائباً لمتصرف القدس، وكان صاهاك نرسسيان رئيس الشرطة، وهوفانيس خاتشادوريان جابي ضرائب المدينة. علاوة على هذا، فإن مهارات الأرمن اللغوية، واجتهادهم، ساعدا على استخدامهم لدى البعثات الأجنبية، ففي القدس، مثلاً، كان هاغوب باسكال نائب قنصل النمسا - هنغاريا، وهاروتيون طوروسيان نائب قنصل بروسيا، وهاغوب سرابيون مراديان وكياًلاً لقنصلية الولايات المتحدة في يافا، وكان أفراد آخرون من أسرة مراديان يشغلون مناصب رفيعة في قنصلية الولايات المتحدة في القدس، كما كان أونيج، الذي كان يدعى لعازار، نائب القنصل، وسيمون وكياًلاً لنائب القنصل (وحيث شغل المنصب ذاته في القنصلية الألمانية، كان يُدعى فريديريك).^{١٣}

وفي الأعوام الأولى من القرن العشرين، عاشت البطريركية حالاً من الاضطراب، ذلك

ضمّت ممثلين من أرجاء الإمبراطورية. ومع أن هذه الجمعية كانت جمعية علمانية إلى حد بعيد (ولم تضمّ بين أعضائها البالغ عددهم ١٤٠ عضواً سوى عشرين من رجال الدين)،^{١٤} إلا أنها أعطيت حقّ الإشراف على موارد البطريركية المالية وانتخاب بطريرك القدس بين قائمة تضمّ سبعة مرشحين تُقدّمهم أخوية مار يعقوب. وحين عارضت بطريركية القدس (والأخوية) هذه الإجراءات^{١٥} التي كانت تحدّ من سلطتها، تدخل السلطان عبد الحميد الثاني في سنة ١٨٨٨ لمصلحتها، وأصدر مرسوماً يستعيد مكانة القدس المستقلة ويصادق على انتخاب بطريرك جديد هو هاروتيون فيهابيديان^{١٦} الذي بدأ عهده الطويل في سنة ١٨٨٩.

علاوة على الإكليروس ضمن البطريركية، كان هناك، طوال قرون، جماعة صغيرة من الأرمن العلمانيين المتحلقين حول دير وكاتدرائية مار يعقوب فيما غدا يُعرّف بحارة الأرمن التي تشغل نحو سدس مساحة مدينة القدس القديمة. وكان ثمة انقسام دقيق بين الأخوية / الإكليروس والجماعة العلمانية، لا يعود فقط إلى المسافة التي تفصل في العادة الحكّام عن المحكومين (إذ كانت الأخوية، ولا تزال، تدير حارة الأرمن بأكملها)، بل يعود أيضاً إلى حقيقة أن الجماعة العلمانية كانت ذات وجود مستمر في الحيّ، أمّا الأخوية فكانت من الخارج بصورة أساسية، ذلك بأنها أرسلت إلى القدس من المدارس والمراكز اللاهوتية في أرجاء العالم الأرمني.

وتحدّر بعض السكان العلمانيين من الحجيج الأرمن الذين جاؤوا إلى المدينة المقدسة قبل قرون، وأسكنوا في بيوت البطريركية المخصصة لهذا الغرض، وقد مكث بعضهم ووجد عملاً ضمن إدارة البطريركية الواسعة التي كانت تدير الحارة وأملاك الكنيسة. وانتمى سكان حارة الأرمن إلى الكنيسة الغريغورية الأرمنية (شأنهم شأن أغلبية الأرمن في فلسطين والعالم)، لكن

الجالية الأرمنية في حال

من التحول

إن نهاية الإمبراطورية العثمانية، ومجيء الحكم البريطاني، غيرًا الجالية الأرمنية في فلسطين تغييراً عميقاً،^{١٧} ذلك بأن تدفق آلاف اللاجئين الأرمن المفاجئ منذ سنة ١٩١٥ فصاعداً، هرباً من المذابح في الأناضول، غير بصورة جذرية تركيب الجالية الأرمنية السكاني، كما أن شروط الانتداب ذاته، (وتشريع ١٩٢٢)، أثراً في موقعها بين التجمعات الأخرى في فلسطين.

● أداة الانتداب

حافظ الانتداب على ما تمتعت به الطوائف المسيحية من امتيازات وحصانات في ظل العثمانيين،^{١٨} كما أنه تبنى النظام الملّي العثماني، إنما مع تعديلات قوّضت فكرة المجتمع السياسي المؤلف من مواطنين متساوين تربطهم "النزعة العثمانية" التي حاول العثمانيون أن يروّجوها بعد الإصلاحات التي انطوت عليها "التنظيمات". وبينما أدخلت الإصلاحات الملّية في القرن التاسع عشر (التي قصد منها الوقوف في وجه مدّ القوميات الإثنية - الدينية) مؤسسات الحكم الذاتي ذات القاعدة الواسعة (كالجمعية الوطنية الأرمنية، مثلاً) في محاولة لإحلال هوية علمانية محل الانتماءات الدينية التقليدية،^{١٩} فإن نيّة بريطانيا فيما يتعلق بالنظام الملّي كانت وثيقة الصلة بمشروعها في إقامة وطن قومي لليهود. ونظراً إلى إدراك البريطانيين أن سياستهم لا بد من أن تثير معارضة شديدة بين الأغلبية العربية من سكان فلسطين، فإنهم استخدموا النظام الملّي لتقسيم العرب إلى مكونات دينية.^{٢٠} وكان البريطانيون يعلمون أيضاً (شأنهم شأن العثمانيين) أن من الأسهل التعامل مع المراتب الدينية، ولهذا منحوها سلطة كاملة بصفتها ممثلي الجماعات

بأن بعض أعضاء الأخوية الذين كانوا جزءاً من الإدارة استغلوا شيخوخة البطريك وحصلوا على مبالغ ضخمة من المال،^{١٤} الأمر الذي أثار هلعاً شديداً في الأخوية ككل، وفي صفوف علمانيي الجالية. وحين علم بطريك إستانبول بهذا الوضع، أرسل إلى القدس بعثة تحقيق كي تعيد الأمور إلى نصابها،^{١٥} وقد أبعدت هذه البعثة كثيراً من أعضاء الأخوية، إلا إن الاضطراب والفوضى لم يتوقفا.

وفي سنة ١٩٠٨، أطاحت ثورة تركيا الفتاة في إستانبول بالسلطان عبد الحميد وجاءت بملكية دستورية، فوضعت بذلك حدّاً للحكم المطلق الذي اتّسم به النظام العثماني القديم، وبثت آمال الحرية والمساواة والعدل في أرجاء الإمبراطورية.^{١٦} وأحيت تركيا الفتاة "الدستور الوطني الأرمني" و"الجمعية الوطنية الأرمنية"، بعد أن كان عبد الحميد قد علّقهما. وفي القدس، اجتمع رجال الدين والعلمانيون الأرمن، وقد شجّعهم المناخ الجديد، في حركة إصلاحية تستهدف نظام بطريكتهم القديم، وحين حاولت العناصر المحافظة الوقوف في وجه الإصلاحيين، قدّم العلمانيون، يؤيدهم الكهنة الإصلاحيون، عريضة إلى والي القدس يطالبونه فيها بالتدخل ضد البطريك وأنصاره الذين لا يزالون يتمسكون بالسلطة. ومما يدل على أهمية بطريكية مار يعقوب لدى أرمن الإمبراطورية ككل أن الجمعية الوطنية الأرمنية التي أعيد إنشاؤها جعلت من الصراع الدائر في القدس قضية كبرى، وأرسلت بعثة إلى هناك، ووقفت في صف الإصلاحيين.

غير أن الحوادث ألمّت بجهود الإصلاح، فقد توفي البطريك العجوز في سنة ١٩١٠، وبقي الكرسي البطريكي شاغراً، كما أن الإمبراطورية دخلت في حلف مع ألمانيا. وفي سنة ١٩١٤ اندلعت الحرب العالمية الأولى، جالبة معها الخراب والدمار، وإبادة الأرمن، وفي النهاية هزيمة العثمانيين وانهيائهم.

طائفة الروم الأورثوذكس العربية التي أدت دوراً رئيسياً فيما شهدته فلسطين من تطورات سياسية كبيرة وصغيرة. فهذه الطائفة الأخيرة لم يقتصر شأنها على كونها أكبر من الجالية الأرمنية بكثير، بل تعدها إلى كونها أشد تلاحماً، ومستفيدة من استمرارها كجماعة أصلية لم يقطع تواصلها أي تغيير سكاني جذري كذاك الذي عرفه الأرمن، الأمر الذي مكّنها من مواصلة كفاحها على جبهتين. فقد سعت، من جهة أولى، لتحرير كنيستها من سيطرة كبار رجال الدين اليونانيين إثنياً (ولغويًا) عبر المطالبة بدور أكبر في إدارة شؤون البطريركية والطائفة، وخصوصاً ما تعلق بالتعليم والعقارات،^{٢٤} كما أنها، من جهة ثانية، وبصفتها عربية، أدت دوراً مهماً في توطيد أركان الحركة الوطنية الفلسطينية.

• تدفق اللاجئين

تراوح تعداد السكان الأرمن في فلسطين عشية الحرب العالمية الأولى ما بين ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ نسمة، وكانت أغليبتهم تعيش في القدس، بينما كانت تعيش جماعات أصغر في حيفا وبيافا والرملة وبيت لحم. ومثلما ذكرنا سابقاً، فإن موجات ضخمة من أرمن كيليكية، المملكة الأرمنية القديمة الواقعة جنوب غرب تركيا الحالية،^{٢٥} طغت على أرمن فلسطين الأصليين خلال الحرب، كما أن كيليكية، علاوة على أنها واحد من أكبر تجمعات الأرمن في الإمبراطورية، كانت مقر الجاثليق الكيليك، الرئيس اللاهوتي للنصف الغربي من الكنيسة الغريغورية.^{٢٦} وفي الواقع، فإن الجاثليق الكيليك نفسه، صاهاك، ومعه أساقفة وكهنة،^{٢٧} كان في الموجة الأولى من اللاجئين إلى فلسطين، والتي وصلت إلى القدس في أوائل تشرين الثاني / نوفمبر ١٩١٥، وما هي إلا بضعة أيام، حتى أرسل قائد الجيش العثماني الرابع المقيم في دمشق، جمال باشا،

الدينية الأساسيين. وكان من الطبيعي أن تميل الأنظمة الكهنوتية، التي لم تكن بالنسبة إلى كثير من الطوائف المسيحية جزءاً من المجتمع المحلي، وإنما أتت من الخارج، نحو التلاؤم مع السلطات الحاكمة. وهكذا أنكر على الشعوب المحلية تمثيلها القومي (العلماني) في حكم مجتمعاتها. وكان للسياسة البريطانية نتائج محددة فيما يتعلق بالأرمن، ذلك بأن تركّز السياسة في فلسطين على صراع العرب (مسلمين ومسيحيين) مع اليهود تبعاً لألويات الانتداب عمل على تهميش الأرمن؛ فهم ليسوا عرباً، الأمر الذي نأى بهم عن القضية الأساسية في تلك الأيام. غير أن عاملاً ظرفياً كان موجوداً هنا أيضاً: فاندماج الجالية الأرمنية الأصلية في المجتمع العربي الفلسطيني كان سيجعل الأمر مختلفاً لو لم يَطْع على هذه الجالية وصول آلاف اللاجئين، إذ سرعان ما بات هؤلاء اللاجئين هم الأغلبية، وغدت مشاركة الجالية السياسية شأناً أرمنياً داخلياً يتعلق بالشتات، وخصوصاً بعد أن ترسخت الأحزاب السياسية الأرمنية التقليدية التي كانت غائبة عن فلسطين وواسعة الانتشار في غير مكان - الطاشناق^{٢٨} والرامغافار^{٢٩} - وتعمّق الانقسام بينها خلال الحرب الباردة بعد أن كان السوفيات قد سيطروا على أرمينيا الشرقية (يريفان) في سنة ١٩٢٠. وعلى الرغم من أن الأرمن الأصليين لم ينخرطوا قط في هذه القضايا، ومع أنهم كانوا يتعاطفون مع الفلسطينيين أشد التعاطف، فإن شاغلهم كان في مكان آخر. وتمثلت نتيجة هذه الانقسامات الجديدة في أن الأرمن لم يتمكنوا حتى من إقامة تمثيل قومي موحد في مسائل تتعلق بالبطريركية: فاللاجئون الممتنون لدور البطريركية الضخم في إسكانهم ومساعدتهم، ما كانوا ليتحدوا سلطتها مطلقاً، في حين أن الجالية الأصلية كثيراً ما طمحت إلى دور أكبر في الشؤون البطريركية. وكان ابتعاد الجالية الأرمنية عن السياسة الفلسطينية المحلية^{٣٠} معاكساً لما نجده لدى

البطيركية الأرمنية التقى، لكن العاجز. كما أن هناك أولئك اللاجئيين المسيحيين من السلط، وهي مدينة أقدم من سفر التكوين ... وكان على الإدارة البريطانية لأراضي العدو المحتلة (OETA) أن تتحمل إطعام السلطيين وإيواءهم،^{٣٠} كما فعلت مع الأرمن. ولاحقاً، وجدت ٧٠٠٠ لاجئ - أرمني وسوري وأورثوذكسي لاتيني وبروتستانتى ومسلم - وقد أتوا إليّ فجأة في هذا الأسبوع: كثير منهم مصاب بالتيفوس، والملاريا غير متوقعة قبل الخريف. وليس إطعام هؤلاء ورعايتهم من الأمور اليسيرة، وعليّ أن أفرز ثلاثة أفراد من عناصري لهذا الغرض.^{٣١}

وحسب معظم اللاجئيين الذين أتوا إلى القدس وسواها في فلسطين أن وضعهم هناك مؤقت، وكانوا ينتظرون العودة إلى بلداتهم في كيليكية. غير أن مصطفى كمال باشا (أتاتورك لاحقاً) شنّ هجوماً على كيليكية في سنة ١٩٢٢، ووصلت حمولة عدة سفن من اللاجئيين الأرمن إلى حيفا. وفي سنة ١٩٢٥، كان في فلسطين نحو ١٥,٠٠٠ أرمني، وخصوصاً في القدس، مع أعداد أقل في حيفا ويافا.^{٣٢}

وليس ثمة أرقام دقيقة وموثوق بها فيما يتعلق بسكان فلسطين الأرمن في أثناء الانتداب، لكن بحسب المصادر الأرمنية، فإن أرقام هؤلاء تراوحت ما بين ١٥,٠٠٠ و ٣٠,٠٠٠^{٣٣} وقد أجرى البريطانيون إحصاءين في تلك الفترة، في سنتي ١٩٢٢ و ١٩٣١، حمل كلاهما نتائج بحسب الحي والانتفاء الديني: لم يتجاوز تعداد الأرمن (الغريغوريين والكاثوليك) في فلسطين كلها ٣٢١٠ نسمة في سنة ١٩٢٢،^{٣٤} و ٣٥٢٤ في سنة ١٩٣١.^{٣٥} وهذه أرقام لا يمكن التثبت منها. وثمة إقرار عام بأن إحصاء سنة ١٩٢٢ شابته عيوب خطيرة، وبأن فوضى تدفق اللاجئيين الكبير كان أنثذ في ذروته، الأمر الذي جعل التعداد الدقيق أمراً مستحيلًا. ومع

عدداً يتراوح ما بين ١٥ و ٢٠ أسرة أرمنية من أزنة إلى القدس،^{٣٨} وسرعان ما تنامى عدد اللاجئيين الأرمن في فلسطين إلى ٦٠٠ أسرة. وقام جمال باشا، الذي كان على صلوات حسنة مع الجاثليق الأرمني، بدور مهم في إنقاذ مئات الأرمن بإرسالهم إلى فلسطين، حتى إنه قام بزيارة شخصية إلى البطيركية الأرمنية في القدس في سنة ١٩١٦. وفي تقرير موجه إلى بطريك إستانبول الأرمني، وصف الجاثليق صاهاك ما رآه في رحلته من كيليكية إلى القدس:

كان في الطريق من حلب إلى دمشق آلاف اللاجئيين الأرمن. بعضهم في خيام، وبعضهم الآخر في الهواء الطلق، وكانوا يتسولون الخبز والماء، ويسألون عن أخبار رفاقهم. وقد مررنا بأماكن تراوح فيها سعر تنكة الماء ما بين ٦ و ٧ قروش، لكن مع ذلك فإن أحداً لم يكن معه ليدفع. إن كثيرين من اللاجئيين - ولا أحد يعلم عددهم الدقيق - هم في منطقة كيريك، أما في السلط فهناك ٤٠٠ أسرة تقريباً، كما أن كل قرية فيها ١٠٠ أسرة من اللاجئيين، وفي سنجق سيراى ما يقارب ٥٠٠ أسرة. وقد جاء هؤلاء إلى الدير [في القدس] حيث كانوا يُعطون ٣٠ - ٤٠ رغيفاً من الخبز في اليوم، يأكلونها في المطبخ. وقد وصل إلى القدس نحو ٨٠ لاجئاً من أزنة - لهم حظوتهم لدى جمال باشا - وهم يعيشون في الدير.^{٣٩}

وفي سنة ١٩٢٠، وصل نحو ٢٠٠٠ لاجئ أرمني إلى القدس، ووصف حاكم القدس العسكري، السُر رونالد ستورز، الوضع في مذكراته على النحو التالي:

كأن هذه الأشياء لم تكن كافية، حتى يضاف إلى مشكلاتنا آلاف اللاجئيين، ويحاصر ما يزيد على ٢٠٠٠ لاجئ أرمني يائس قائمقام

وجدوا أنفسهم فجأة وقد اكتسحهم اللاجئون (الذين عُرفوا باسم "الزوّار")، وفاقوهم عدداً بكثير، وهم لا يعرفون العربية، ولا يتكلمون سوى التركية والأرمنية، ولهم طرائقهم الخاصة وتقاليدهم. وهؤلاء "الزوّار" الذين كانوا ينظرون إلى "الكاغاكاتسي" على أنهم عرب أكثر مما هم أرمن، جلبوا من المناطق التي تركوها أحزابهم السياسية ونقاباتهم الأرمنية الجامعة، وكانوا في البداية غرباء تماماً عن التحولات السياسية العظيمة الجارية في فلسطين. وحتى حين أدركوا ما تنطوي عليه تلك التحولات من مخاطر، فإنه كان من الطبيعي أن ينشغلوا أكثر باستعادة حياتهم والإبلال من المأساة التي حلّت بهم، غير أن لطافة أبناء البلد وسماحتهم تغلبتا عليهم في النهاية، لتبدأ مسيرة متدرجة من الاندماج.^{٤٠}

البطيريركية والسلطات البريطانية

حين دخل البريطانيون القدس في سنة ١٩١٧، أقاموا إدارة عسكرية تمثلت مهمتها المباشرة في وقف ما سببته الحرب من مجاعة واختلال وتصدّع.^{٤١} وفي تموز/ يوليو ١٩٢٠، حلّت محل الحكم العسكري إدارة مدنية يقودها "مفوض سام"، وفي ٢٩ أيلول/ سبتمبر ١٩٢٢، صادقت عصبة الأمم المتحدة على "الانتداب في فلسطين".

وفي هذه الأثناء، كانت البطيريركية الأرمنية في حالة شنيعة منذ ما يزيد على العقد، فضلاً عن الاضطراب داخل الجالية الناجم عن تدفق اللاجئين، كان الكرسي البطيريركي شاغراً منذ وفاة فيهابيديان في سنة ١٩١٠، وكان الوضع المالي في حالٍ دفعت حاكم القدس العسكري السّر رونالد ستورز، في آذار/ مارس ١٩١٩، إلى أن يعيّن لجنة إدارية تشرف على موارد البطيريركية المالية. وكان يرئس هذه اللجنة الأسقف يغيث تشيلنغريان الذي عُيّن أيضاً

أن إحصاء سنة ١٩٣١ كان أكثر دقة بصورة عامة، إلا إن مشكلات التعداد المعتادة (الناجمة عن الخوف من الضرائب، وعدم الثقة بالسلطة، إلخ) كانت حادة من دون ريب في حالة أولئك السكان المصدومين الذين لا يزالون يتدققون. وعلى الرغم من أنه ليس ثمة سبيل لإثبات صحة المصادر الأرمنية، فإنه ما من شك في أنها تعكس الواقع على نحو أفضل.

وحتى بعد أن توقفت موجات اللاجئين الكبرى، فإن الجالية الأرمنية لم تعرف الاستقرار على الصعيد السكاني، وإنما واصلت نموها في ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته بسبب الهجرة إلى فلسطين (وخصوصاً القدس وحيفاً ويافا) من البلاد المجاورة، جزاء الأوبئة وضروب العسر الاقتصادي،^{٣٦} ثم بسبب اليسر الاقتصادي الذي كان يُعدُّ بفرص العمل والوظيفة. وكان هناك أيضاً هجرة غير شرعية.^{٣٧} وثمة رجل يدعى كور سركيس (سركيس الأعمى) اشتُهر بين الأرمن في فلسطين بأنه ظل على مدى عقود يعمل ساعياً بينهم وبين جوالهم في لبنان، فكان يحمل رزماً من الرسائل جيئةً وذهاباً، وأنه في رحلة العودة، كان يهزّب جماعات من الأرمن إلى فلسطين عبر معابر سرية على الحدود.^{٣٨} بيد أنه مع تدهور الوضع السياسي في فلسطين بدأ الأرمن بمغادرة البلد، وفي سنة ١٩٤٧، عاد نحو ١٥٠٠ شخص من اللاجئين إلى أرمينيا (السوفياتية)،^{٣٩} مدشّنين تدهور عدد السكان الأرمن في فلسطين؛ ذلك التدهور الذي تعاضم زخمه في حرب ١٩٤٨.

ولا شك في أن التحول السكاني الذي اعترى هذه الجالية في أوائل عشرينيات القرن العشرين قد أحدث، بين ليلة وضحاها تقريباً، ضروباً من العناء والمشقة. فالأرمن الأصليون (الذين بات يُشار إليهم في السياق الجديد باسم "أولاد البلد" أو "كاغاكاتسي")، المتعرّبون تماماً، والذين يتكلمون الأرمنية بلكنة ثقيلة، ويقاسمون المجتمع العربي الفلسطيني عاداته ومأكله،

البطيريكية الأرمنية، وهي نشرة شهرية مكرسة للمسائل الدينية بصورة أساسية.^{٤٨}

وكان أحد أحلام طوريان أن يجلب إلى القدس إرث كلية أرماس اللاهوتية، ذلك المركز التعليمي العظيم التابع لبطيريكية إستانبول، والذي دُمّر في سنة ١٩١٥. وكان الأبوان مامبره وخورين قد سبق أن جلبا، خلال الحرب، ١٥ - ٢٠ طالباً من طلابهم هناك إلى الكلية اللاهوتية في القدس.^{٤٩} وحين بنى طوريان الكلية اللاهوتية الجديدة ("إنزياران") في سنة ١٩٢٦، وحُدث منهاجها، عيّن هيئة تدريسية ضمّت علماء أرمين بارزين مثل، المطارنة بابكين غوليسيريان، وتوركوم قوشجيان، وميغريدتتش أغافنوني، والأخ غوريغ إسرائيليان، والأخ نورير بوغاريان، والأخ ديران نرسويان، وكارابيد كاججيان، وشاهان بربريان، وهاغوب أوشاجان، وكان بعضهم تدرب في أرماس. ومثّل له بروز القدس التالي كواحد من المراكز الثقافية والدينية الأرمنية الرئيسية في الشرق الأوسط، نوعاً من "الثأر المقدس" للفاوجة التي حلّت بالأرمن.

وسرعان ما طرحت وفاة البطيريك طوريان في سنة ١٩٢٩ قضية انتخاب البطيريك، وكان آخر بطيريك للقدس تنتخبه "الجمعية الوطنية الأرمنية" (بترتيب خاص مع البريطانيين)، تلك الجمعية التي لم تكن تمثّل حتى آنذاك (١٩٢١)، سوى جزء من الأمة الأرمنية (أي أولئك الذين بقوا في تركيا). وفي سنة ١٩٢٩، رأت أخوية مار يعقوب، يدعمها البريطانيون،^{٥١} في حالة "الجمعية الوطنية الأرمنية"، فرصة ملائمة للتخلص من التدخل "القومي" (أي العلماني) في شؤون البطيريكية، الأمر الذي لم يرقّ للمؤسسة الإكليركية قط.

وفي ٨ آذار/ مارس ١٩٣٠، التقى المطران ميسروب نيشانيان، الذي عُيّن قائمقاماً ريثما يتم تنصيب بطيريك جديد، بحاكم القدس، وعبر عن أمله بأن يجري الانتخاب بأسرع ما يمكن.^{٥٢}

لتولي شؤون الأخوية الداخلية إلى حين مجيء بطيريك جديد. وفي سنة ١٩٢١، جرى انتخاب يغيث طوريان^{٥٢} بطيريكاً، وذلك تبعاً لإجراءات محددة في دستور سنة ١٨٨٨، إلا أن الانتخاب هذه المرة صادق عليه العرش البريطاني وليس السلطان، كما كانت الحال في ظل العثمانيين.

وسرعان ما واجه البطيريك طوريان مهمة توفير مأوى للاجئين الذين كانوا لا يزالون يتدفقون على البلد. وبالعامل مع "الاتحاد الخيري الأرمني العام" و"وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)"، أوت بطيريكية مار يعقوب أكثر من ٨٠٠ ٠٠٠ يتيم وبيتمة من دير الزور وسواها في سورية، وأقامت لهم مياتم مختلطة في كاتدرائية مار يعقوب (ميتم أرااديان)، ودير الصليب المقدس اليوناني، والناصرية.^{٥٣} وكان على طوريان لاحقاً أن يتعامل مع عواقب زلزال سنة ١٩٢٧،^{٥٤} الذي أذى كاتدرائية مار يعقوب كثيراً، ودُمّر أملاك الكنيسة في الرملة وبيت لحم. وفي أثناء إعادته بناء المناطق المتضررة، أقام معتكفاً جميلاً محاطاً بأشجار الزيتون عُرف باسم "بارون دز أوركارد"، قرب قبر راحيل في بيت لحم،^{٥٥} كما أدى دوراً كبيراً في تنظيم الجالية الأرمنية في منطقة حيفا.

وفي أثناء سعي طوريان لرفع مستوى الجالية التعليمية والثقافي، أطلق سلسلة من الإصلاحات هدفت إلى تحسين الشروط ضمن الأخوية، وخصوصاً ما تعلق بغذاء الكهنة وسكنهم وتعليمهم. وأضيف إلى الكلية الكهنوتية صفان جديان مؤلّتهما عائلتا غلبنكيان وملكونيان.^{٥٦} وفي سنة ١٩٢٩، دشّن طوريان بناء مكتبة غلبنكيان و"مدرسة المترجمين المقدسة"، كما أحيا المطبعة الأرمنية التي كانت أغلقت خلال الحرب، وفي غضون ثلاثة أعوام بدأت مطبعة مار يعقوب بنشر أعمال نوعية للبطيريك وسواه من رجال الدين.^{٥٧} وبالمثل، فقد أعاد طوريان إصدار نشرة "سيون"، لسان حال

قاموا به في منح البطيركية والأخوية "دوراً هائلاً"، ولرفضهم أي تمثيل قومي.^٦ كما نددت "هوسابير" (الطاشناق) بالبريطانيين، واتهمتهم بالتواطؤ مع المراتب الدينية.^٧

وفي هذه الأثناء، كان البطيريك قوشجيان كرس نفسه زعيماً مقدرًا، وتمثلت مهمته الأولى في تولي أمر ديون البطيركية الضخمة، ولهذه الغاية، استدعى فوسكان بك مردكيان الذي كان وزيراً للبريد والهاتف والبرق في الإمبراطورية العثمانية، كي يتحقق من حجم الدين ويقترح العلاج الضروري.^٨ ووصل فوسكان بك إلى القدس في ٢١ نيسان/ أبريل ١٩٣٢، وراح يراجع السجلات طوال ثمانية أشهر، وبعد أن قدر الدين بـ ١٠٠,٠٠٠ جنيه، وضع خطة مالية جرى تنفيذها خلال الأعوام القليلة اللاحقة.^٩

وعلاوة على ما شهده عهد قوشجيان من هبوط شديد في دين البطيركية، فإنه شهد أيضاً خلال الفترة ١٩٣١-١٩٣٦ زيادة في أملاكها الثابتة، وبينها أملاك في شارع يافا وشارع الأميرة ماري في القدس الغربية قُدرت بـ ٧٠,٠٠٠ جنيه في ذلك الحين.

وتوفي قوشجيان في سنة ١٩٣٩، وخلفه البطيريك ميسروب نيشانيان الذي كان قائمقاماً مرتين، والذي تدخل لعقود في شؤون بطيركية القدس. ومثل أسلافه، شدد نيشانيان على التعليم، وتشكل مراسلاته الخاصة المنشورة في أربعة مجلدات مصدراً قيماً للمعلومات عن الجالية.^{١٠} وعند وفاته المفاجئة جزاء نوبة قلبية في سنة ١٩٤٤، خلفه غوريغ إسرائيليان الذي اتسم عهده بتدهور سريع في الوضع السياسي الفلسطيني بلغ ذروته في حرب ١٩٤٨ التي أدى خلالها دوراً حيوياً في حماية الجالية، موفراً لها الطعام والمأوى خلال القتال. وقد بقي الكرسي البطيركي شاغراً ما يقارب العقد بعد وفاته في سنة ١٩٤٩.

وفي هذه الأثناء، كانت الجالية الأرمنية الكاثوليكية الصغيرة في حارة المسلمين قد نمت

وبحسب المؤرخ البارز أرشاع ألبويجيان، فإن السينودس (الهيئة التنفيذية العليا في البطيركية)^{١٢} الذي عُقد في ١٧ حزيران/ يونيو ١٩٣٠، اقترح تعديلات للمواد ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ من دستور الأخوية، وهو ما يمنح الهيئة العامة للأخوية سلطة كاملة فيما يتعلق بانتخاب البطيريك،^{١٤} الأمر الذي أزال الطابع العلماني الذي ظل موجوداً منذ التنظيمات العثمانية.^{١٥} وبعد موافقة الانتداب على التعديلات المقترحة، أُجري الانتخاب في ١٦ تموز/ يوليو ١٩٣٠، وغدا توركوم قوشجيان، بعد مصادقة البريطانيين، البطيريك الجديد. وفي ٢٠ تموز/ يوليو ١٩٣٠، بعد إعلان الانتخاب واشتغال إقصاء الشعب الأرمني عن هذه العملية، اجتمع أكثر من ١٠٠ أرمني في حارة الأرمن من المدينة القديمة عند "الاتحاد الخيري الأرمني العام" في القدس (وهو ناد لـ "الكاغاكاتسي" أو "أولاد البلد" الفلسطينيين الأرمن) احتجاجاً على نزع الطابع "القومي" (أو العلماني) عن الانتخابات، ومطالبة بإعادة هذا الطابع. لكن هذه المجموعة لم تكن قادرة على حشد الجالية ككل، ولا سيما أن "الزوار"، الذين باتوا يشكلون الأغلبية في حينه، كان لهم آراء أخرى في هذا الأمر، فضلاً عن المشاغل الأكثر إلحاحاً. وعلى أي حال، فإن دعم البريطانيين الثابت لهذه الإجراءات الجديدة لم يترك إمكاناً لفعل أي شيء.

ومع هذا، فإن الجدل تواصل في الشتات لفترة، إذ لم يكن يُنظر إلى انتخاب بطيريك القدس على أنه مسألة كهنوتية محضة، وإنما بصفتها شاغلاً أرمنياً قومياً. فعلى سبيل المثال، اشتملت صحف كل من الطاشناق والرامغافار في القاهرة في سنة ١٩٣٢ على مقالات تتناول هذه الانتخابات. وقد عبّرت افتتاحيات الصفحة الأولى في "أريف" (رامغافار) عن غضب خاص من البريطانيين لتدخلهم في الشؤون الخاصة بانتخاب البطيريك^{١٦} ولـ "الدور الكبير" الذي

بمدارس ليست أرمنية مثل، "المطران غوبات" و"السان جورج" (بريطانيتين)، و"القديس يوسف" و"الفيرير" (فرنسييتين)، و"شميدت" (ألمانية).^{٦٤} إذا كان لدى أهلهم القدرة على دفع رسم التعليم والأجور.

وتميزت فترة الانتداب بانتشار كثيف للجمعيات الرياضية والثقافية الأرمنية، وخصوصاً في ثلاثينيات القرن العشرين.^{٦٥} وكان أعضاء النوادي، في معظمهم، إمّا من الـ "كاغاكاتسي" ("أولاد البلد")، وإمّا من "الزوار" (السكان الجدد)؛ ونادراً ما اختلط هؤلاء بأولئك. ولا يُعرف العدد الدقيق لهذه النوادي، إلاّ إن من المؤكد أنه كان هناك عشرات منها، وكان معظمها في القدس، لكنها كانت موجودة أيضاً في كل مكان في فلسطين يجتمع فيه عدد كافٍ من السكان الأرمن. وكانت السيطرة لنوادي "الزوار"، التي قام بعضها على أساس بلدات أعضائها في الأناضول، وهي لم تعمل كأمكنة لاجتماع أعضائها فحسب، بل مكنتهم أيضاً من إحياء تقاليدهم ومحاياتهم والحفاظ عليها. ومن هذه النوادي ما كان اتحادات أرمنية جامعة، لها فروع في غير مكان من الشتات، وكان أيضاً ثمة نوادٍ سياسية، ولم يكن من غير الشائع حتى لنوادٍ مكرسة للرياضة أو سواها من الأنشطة أن تضم أعضاء من الطاشناق أو الرامغافار. وقد أدت هذه النوادي دوراً حيويّاً بالنسبة إلى اللاجئين الذين كانوا يصلون إلى مكان جديد وغريب بعض الشيء.

وأسس عدد من النوادي الرياضية الأرمنية المتميزة - وأبرزها نادي الهومنتمن - التي كانت تمارس كرة القدم، أو كرة السلة، أو الملاكمة، وتنافس ليس بعضها بعضاً فحسب، بل الفرق العربية والبريطانية واليهودية أيضاً.^{٦٦} وقد تميّز الأرمن في الملاكمة بصورة خاصة، حتى إن الصحافة المحلية كانت تغطي مبارياتهم كافة.^{٦٧} وبين الملاكمين الأرمن البارزين،^{٦٨} كان ماركو غوزوكوتشكيان هو الأشهر، وكانت

أيضاً نمواً كبيراً خلال الانتداب بوصول لاجئين كاثوليك من كيليكية وسواها.^{٦٩} ومثل نظيرتها البطريركية الغريغورية، بقيت النيابة الكهنوتية الأرمنية الكاثوليكية شاغرة في خضمّ الحرب العالمية الأولى، ولم تُشغل إلاّ في سنة ١٩٢١، حين وصل إلى القدس المونسنيور هوسيب مومجيان الذي كان قبل ذلك عميد المدرسة الليفونية في روما. وقد أشرف، بصفته رأس الجالية، على توطين اللاجئين الأرمن الكاثوليك وتجديد الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية. وفي سنة ١٩٣٠، خلفه المونسنيور هاغوب غيراغوسيان الذي دُعي لاحقاً "المُصلِح" بسبب ما استحدثه من ضروب التجديد وأعمال البناء في منطقة الدير، وبينها إقامة "مدرسة الحبل بلا دنس" لأطفال الجالية.

حياة الأرمن في ظل الانتداب

في الوقت الذي كان الأرمن تحت الانتداب أقل اهتماماً بالحياة السياسية في فلسطين قياساً بما كانوا عليه في أواخر العهد العثماني قبل الحرب العالمية الأولى، فإن الحكم البريطاني شهد ازدهاراً حقيقياً لمنظمات المجتمع المدني الأرمني ومؤسساته.

وقد حظي التعليم بأولوية كبرى لدى كل من الزعامة الكهنوتية الأرمنية والجماعات العلمانية،^{٦٩} وكانت "مدرسة المترجمين المقدسة" ("المدرسة القومية") التي جرى ذكرها سابقاً، والتي أسسها البطريرك طوربان، هي المؤسسة التعليمية الأرمنية الأضخم في فلسطين، وكانت تدرّس مقررات في التاريخ الأرمني، واللغة الأرمنية القديمة والحديثة، وفي الدين، والعلوم، والرياضيات، فضلاً عن الإنجليزية والعربية.^{٦٩} وعلاوة على المرافق التعليمية التي ترعاها الكنيسة، والتي ذُكرت أعلاه، فإن مدارس أرمنية جديدة أقيمت في يافا وحيفا، لكن الطلاب الأرمن في فلسطين كانوا يلتحقون أيضاً

مثلما ذكر أعلاه. أما في ثلاثينيات القرن العشرين، فقد تمتعت الجالية الأرمنية ككل بازدهار نسبي.

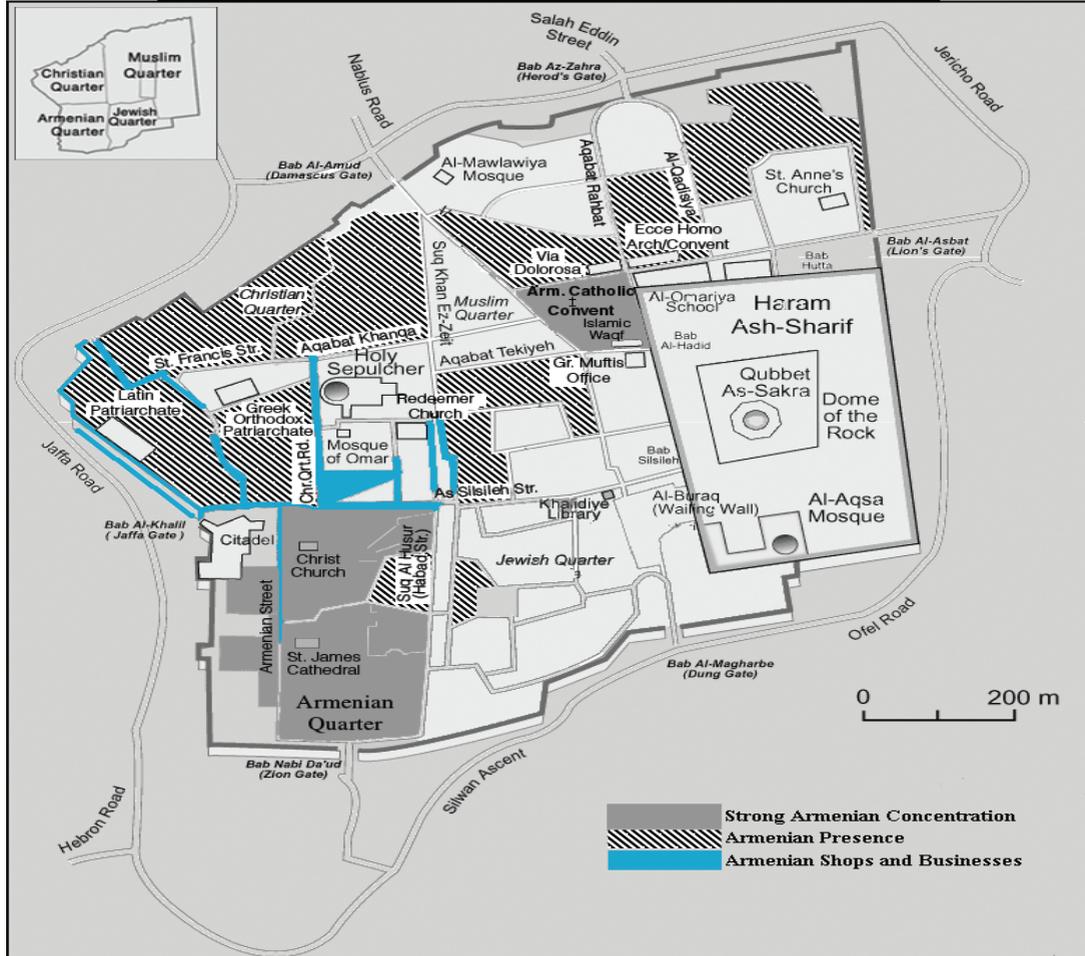
وتبيّن خريطة مدينة القدس القديمة أدناه، توزّع أعمال الأرمن ومتاجرهم في فترة الانتداب. وباستثناء المتاجر الموجودة على طول شارع الأرمن ضمن البطريركية، فإن معظم أعمال الأرمن كان متركزاً في حارة النصارى، وكذلك خارج أسوار المدينة، وخصوصاً عند باب يافا ومناطق مامبلا.^{٧١} وتبين الخريطة، بصورة أعمّ، الوجود الأرمني في المدينة القديمة، حيث تمثّلت أكثر التجمعات في حارة الأرمن ذاتها، وفي جيب الأرمن الكاثوليك (الأصغر بكثير) في حارة المسلمين، مع وجود لافت في كل من حارة النصارى وحارة المسلمين (حيث كان الوجود الأرمني في هذه الأخيرة كاثوليكياً بصورة أساسية).

وبينما كانت الأغلبية الساحقة من سكان القدس الأرمن في فترة الانتداب تعيش داخل المدينة القديمة، راح الأرمن الأثرياء في ثلاثينيات القرن العشرين ينتقلون إلى خارج المدينة القديمة، إلى ما كان يُدعى آنذاك "المدينة الجديدة"، الواقعة في القدس الغربية بصورة أساسية. فبدأً من أواخر القرن التاسع عشر، راحت أحياء جديدة مختلطة عربية بصورة عامة (مسلمة ومسيحية) ويونانية تُقام بفيلاّتها الأنيقة الفسيحة، وسرعان ما غدت محطّ الإعجاب الشديد بين مناطق السكن في القدس. وكان الأرمن الذين انتقلوا إلى هناك من المدينة القديمة، شأنهم شأن المسلمين والمسيحيين العرب، جزءاً من بورجوازية نامية كانت تتمسك بفوارق أو مشاغل تميّزها. وهكذا، لم يشكل الأرمن معزلاً، وإنما اختلطوا مع المسلمين والمسيحيين العرب،^{٧٢} وانتشروا في الحواري مثل: باب الزاهرة؛ الشيخ جراح؛ وادي الجوز؛ مصرارة؛ مامبلا؛ النبي داود؛ البقعة

تحضر مبارياته حشود متحمسة ضخمة من جميع الفئات بمن فيها الجنود البريطانيون.^{٦٩} وفي سنة ١٩٤٠، حاز "ماردو الملاكم" لقب بطل الشرق الأدنى للوزن الثقيل بعد هزيمته البطل المصري، "عبد كبريت". وكانت الجمعيات الثقافية الأرمنية بارزة أيضاً، ببرامج محاضراتها ومناسباتها الثقافية، وكانت الحفلات الموسيقية للفرق ولمؤدّي العزف المنفرد تُقام في بعض الأحيان في قاعة جمعية الشباب المسيحي التي تتسع لجمهور كبير (أرمني وغير أرمني)، وتغطيها الصحافة المحلية.^{٧٠}

وليس مصادفة أن معظم النوادي والجمعيات الأرمنية - وأغلبيتها الساحقة كانت لـ "الزوّار" (الأرمن الجدد) - تأسس في ثلاثينيات القرن العشرين، ففي ذلك الوقت، كان اللاجئون قد كفّوا عن الانشغال بمسائل المأوى والبقاء فقط، كما أنهم، في معظمهم، وعلى الرغم من بؤسهم في البداية، وجدوا مهنة كانت وسيلتهم في البقاء. وخلال عقد من وصولهم، وبعون من تحسّن الاقتصاد بالتدريج، بدأوا ينخرطون في الأعمال ويفتتحون متاجرهم الصغيرة الخاصة، ويساهمون في الاقتصاد المحلي. وقد برزوا بصورة خاصة كصاغة للذهب والفضة، وكحدّائين، وخياطين، وسمكرية، فضلاً عن العمل بالتصوير الضوئي وصناعة الخزف. وفي الواقع، فإن الوضع الاقتصادي للجالية الأرمنية في فلسطين ككل شهد انتعاشاً في العقد الأول، أو نحوه من الانتداب. فسنوات الحرب وما بعدها كانت عسيرة إلى أبعد حدّ، وكان الحج إلى الأرض المقدسة، بما يجلبه من أرمن الإمبراطورية وأبعد منها، وبما يشكّله من مصدر دخل رئيسي للبطريركية، قد توقف خلال الحرب العالمية الأولى، ولم يُستأنف بعدها قط، كما أن تكلفة إطعام آلاف الناجين من الإبادة الأرمنية وإيوائهم كانت باهظة أيضاً، وساهمت في زيادة الديون البطريركية زيادة ضخمة

Armenian Presence in the Old City of Jerusalem (1918-1948)



الوجود الأرمني في مدينة القدس القديمة (١٩١٨-١٩٤٨)

المطرودين من سنجق إسكندرون حين تمّ سلخه عن سورية وإعطاؤه لتركيا. وقد جرى تدوين المعلومات التي وُجدت بين أوراق البطريرك نيشانيان الخاصة، بحسب المنطقة التي جرى فيها التبرع؛ ففي القدس، كانت المناطق التي اشتملت عليها القائمة هي: حارة الأرمن (التي تُدعى أيضاً "الكاتدرائية" أو "الدير")؛ الحارات الأخرى في المدينة القديمة؛ المناطق خارج أسوار المدينة (كالمدينة الجديدة).

(الفوقا والتحتا)؛ الطالبية؛ القطمون؛ الكولونية اليونانية؛ الكولونية الألمانية. ومن المستحيل أن نقدّر حالة أرمن فلسطين الاقتصادية، لكن من الممكن التماس بعض الأفكار المتعلقة بـ "توزّع" الثروة داخل الجالية من خلال نتائج حملتين لجمع الأموال قامت بهما بطريركية القدس، الأولى في سنة ١٩٣٣ لمساعدة ضحايا زلزال بيروت من الأرمن، والثانية في سنة ١٩٣٩ لمساعدة الأرمن

وهم المجموعة الأصغر بين المجموعات الثلاث، تبرعوا بمبالغ أكثر كثيراً من المبالغ التي تبرعت بها الأغلبية التي تعيش في حارة الأرمن، لكنها مبالغ أقل من تلك التي تبرع بها مجموع سكان المدينة القديمة من الأرمن، والذين كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة للجالية في القدس. ونلاحظ من الجدول رقم ٢ أدناه أن هذا الوضع انقلب في سنة ١٩٣٩: ففي أيلول / سبتمبر من تلك السنة، ساهم أرمن "المدينة الجديدة" بما يزيد على مساهمة السكان الأرمن داخل سور المدينة، وهذه الزيادة اللافتة في مجموع التبرعات خلال الفترة ١٩٣٣ - ١٩٣٩ (بالنسبة إلى القدس وإلى كل فلسطين، باستثناء مساهمة

ويبين الجدولان رقم ١ و٢ أدناه نتائج هاتين الحملتين بالمليم الفلسطيني، حين كان كل ١٠٠٠ مليم فلسطيني يساوي جنيهاً فلسطينياً واحداً يساوي بدوره جنيهاً إسترلينياً (بريطانياً) واحداً. وكى نضع المبالغ الواردة في نوع من المنظور، فإن الأجر اليومي لعامل يهودي ماهر ونقابي في أيلول / سبتمبر ١٩٣٩ كان يتراوح ما بين ٣٠٠ و٨٠٠ مليم، تبعاً لقطاع عمله (إن كان عمال الطباعة هم الأعلى أجراً). وليس لدينا أرقام مقارنة لسنة ١٩٣٣، لكنها كانت أدنى كثيراً.^{٧٣} ويوضح الجدول رقم ١ أدناه أن الأرمن الذين يعيشون خارج سور المدينة القديمة،

الجدول رقم ١

جمع الأموال لأرمن بيروت، تموز / يوليو ١٩٣٣

القدس

المجموعة أ: في الكاتدرائية ٤٠,٠٤٥ مليمًا فلسطينياً
المجموعة ب: داخل السور (المدينة القديمة) ٢١,١٧٠ مليمًا فلسطينياً
المجموعة ج: خارج السور ٥٣,٢٧٥ مليمًا فلسطينياً

المجموع: ١١٤,٤٩٠ مليمًا فلسطينياً

بيت لحم ١٥٥٠ مليمًا فلسطينياً
حيفا ٣٨,٠٢٠ مليمًا فلسطينياً
الناصرة ٥٠٠٠ مليم فلسطيني

المجموع: ٤٤,٥٧٠ مليمًا فلسطينياً

المجموع: ١٥٩,٠٦٠ مليمًا فلسطينياً

الجدول رقم ٢

جمع الأموال للأرمن المطرودين من إسكندرون، أيلول / سبتمبر ١٩٣٩

المجموعة أ: في الدير:

من الأخوية ٢٣,٨٠٠ مليم فلسطيني

من الأشخاص الذين يعيشون في الدير ٢٩,٩٠٠ مليم فلسطيني

المجموع: ٥٣,٧٠٠ مليم فلسطيني

المجموعة ب: داخل السور (المدينة القديمة) ٢٢,٤٠٠ مليم فلسطيني

المجموعة ج: خارج السور

القسم الأول ٤٠,٢٠٠ مليم فلسطيني

القسم الثاني ٣٨,٩٠٠ مليم فلسطيني

المجموع: ٧٩,١٠٠ مليم فلسطيني

الصليب الأحمر الأرمني في القدس ٣٠٠٠ مليم فلسطيني

مجموع المبالغ المجموعة في القدس ١٥٨,٢٠٠ مليم فلسطيني

المجموعة د: يافا ٧٨,٦٢٠ مليم فلسطينياً

الرملة ٨٠٥٠ مليم فلسطينياً

المجموع: ٨٦,٦٧٠ مليم فلسطينياً

المجموعة هـ: حيفا ٢٣,٢٠٠ مليم فلسطيني

عكا ١٨٠٠ مليم فلسطيني

غزة ٣٠٠٠ مليم فلسطيني

المجموع: ٢٨,٠٠٠ مليم فلسطيني

شرق الأردن ٣٨,٠٢٠ مليم فلسطينياً

المجموع: ٣١٠,٨٩٠ مليم فلسطينياً

لحماية الحارة من الهاغاناه التي كانت تقصف المدينة القديمة.^{٧٦} وقد مات أكثر من أربعين أرمنياً في أثناء القتال.^{٧٧} ووصفت افتتاحية في نشرة "سيون" دفاع الأرمن عن الحارة كما يلي:

من منظور [عسكري] تقليدي، لم تنخرط أخوية مار يعقوب، ولا سكان الدير [الأرمن]، في معركة ملحمة خلال الأحداث الدامية التي شهدتها فلسطين. غير أنه كان، ولا يزال، من الممكن النظر إلى موقفهم بصفته موقفاً ملحماً، إذ توحدت الأخوية والسكان المدنيون، وأبدوا تصميماً على الدفاع عن إرثنا الروحي والقومي، وعن حياتنا وأملنا، وقبل أي شيء عن شرفنا الذي ذاع صيته وارتفعت قيمته على مدى قرون في هذه الأراضي المقدسة، وخصوصاً في حوادث من هذه الطبيعة ليست غير مسبوقه في تاريخ هذه الأمة.^{٧٨}

وضعت حرب ١٩٤٨ حداً لفترة مهمة من تاريخ الأرمن في فلسطين، وتلا ذلك ضروب كبرى من الاختلال والاضطراب: لم يعد ثمة أهمية للجاليات الأرمنية في يافا وحيفا وغيرهما من المناطق التي غدت إسرائيل، كما أن القوات الإسرائيلية احتلت القدس الغربية - بما فيها الأحياء العربية الثرية من المدينة الجديدة حيث كانت تعيش عدة مئات من الأسر الأرمنية - وطردت منها جميع السكان تقريباً من غير اليهود؛ وبفقدان المقيمين الأرمن منازلهم وأعمالهم، غادروا البلد من دون رجعة.^{٧٩} أما القدس القديمة، وحارة الأرمن التي كانت على مدى قرون قلب الجالية الأرمنية في فلسطين وجزءاً حيويماً من المدينة، فبقيتا بيد العرب (الحكم الأردني) حتى سنة ١٩٦٧، إلا إن الجالية كانت قد تلقت ضربة قاتلة، وبات تدهورها الدراماتيكي أمراً سارياً بالفعل. ■

شرق الأردن) ربما تكون مؤشراً إلى ازدهار متنام شهده السكان الأرمن ككل.

ولعل أوائل أربعينيات القرن العشرين تمثل ذروة الوجود الأرمني في فلسطين، فبعد عقد أو نحوه من التكيف الصعب، بثّ اللاجئون في الجالية عنصراً دينامياً جديداً. ففي أواخر ثلاثينيات القرن العشرين، كانوا قد اندمجوا نسبياً في المجتمع الأرمني المحلي، مع أن الـ"كاغاكاتسي" و"الزوار" ظلوا على تمايزهم في الكلام والعادات، واستمروا في ميلهم إلى الزواج كل من جماعته. غير أن ما كان لافتاً جداً هو مدى النجاح الذي أحرزته الجالية ككل خلال أقل من ثلاثة عقود في التغلب على الفوضى والعوز والزعزعة التي حلت بها جراء حوادث الحرب العالمية الأولى المأساوية، وذلك بفضل التزام قيادتها المقتردة وتنظيمها، وبفضل عمل السكان العلمانيين الشاق ومرونتهم ودأبهم. وفي أوائل ثلاثينيات القرن العشرين، كانت هذه الجالية قد أحرزت درجة من الازدهار مكنتها من أن تمد يدها إلى الأرمن المعوزين في أمكنة أخرى.

حرب ١٩٤٨ وأقول الجالية الأرمنية في فلسطين

خلال الحرب العربية - الإسرائيلية في سنة ١٩٤٨، تجمّع الأرمن من أنحاء فلسطين في حارة الأرمن في القدس القديمة،^{٧٤} شاهداً على ما كانت البطيريركية تمثله للجالية من حماية وأمن. وداخل أسوار البطيريركية، نظموا أنفسهم في ثلاث لجان: الأولى لإدارة العيادة الموقته المقامة في قسم تحت الأرض من الكاتدرائية المسماة "كيريتشان"، والثانية لتدبير أمر المؤن، والثالثة لتولي مهمة توزيع الماء.^{٧٥} وفي أثناء ذلك، كان حرس مدني أرمني، مسلح بأسلحة بسيطة، قد شكّل بقيادة كل من الأب الترجمان هايريج، وهراير يرغاتيان،

المصادر

ملاحظة للكاتب: أود أن أشكر أربي سياحيان لقراءته مسودات سابقة لهذه المقالة والتعليق عليها. كما أود أن أشكر المراجعين الغفل الثلاثة على تعليقاتهم. وأخيراً، فإنني مدين لليندا بتلر بما قامت به من تحرير دقيق، وما طرحته من أسئلة جوهرية. وطبعاً، فإن أي مسؤولية عن هذه المقالة إنما تقع على عاتقي وحدي. معظم الكتابة التاريخية عن أرمن القدس في القرن العشرين كُتبت باللغة الأرمنية، أما بالنسبة إلى ما كُتبت باللغة الإنجليزية، فانظر:

Assadour Antreassian, *Jerusalem and the Armenians* (Jerusalem: Sts. James Press, 1969); George Hintlian, *History of the Armenians in the Holy Land* (Jerusalem: Sts. James Press, 1976); Victor Azaria, *The Armenian Quarter of Jerusalem: Urban Life behind Monastery Walls* (Berkeley: University of California Press, 1984); John H. Melkon Rose, *Armenians of Jerusalem: Memoirs of Life in Palestine* (London and New York: Radcliffe Press, 1993); Ara Sanjian, "The Armenian Church and Community of Jerusalem", in *The Christian Communities of Jerusalem and the Holy Land: Studies in History, Religion and Politics*, edited by Anthony O'Mahony (Cardiff: University of Wales Press, 2003).

سُميت البطريركية على اسم قديسين هما: مار يعقوب الرسول، ومار يعقوب أول مطران للقدس. تشير كلمة البطريركية إلى المنطقة والأماك الواقعة تحت سيطرة أخوية مار يعقوب، التي يرئسها البطريرك، والتي تتركز حول رهبانية / دير مار يعقوب، وتضم كامل حارة الأرمن في المدينة القديمة. وتشكل الأخوية، التي يُستمد منها السينودس أو الهيئة التنفيذية، إدارة البطريركية.

كانت السيطرة على كنيسة القيامة وسواها من الأماكن المقدسة في القدس بيد الروم الأورثوذكس بصورة عامة، إلا إنه كان للطوائف الأخرى حقوق خاصة في أجزاء متعددة من هذه الكنائس بحكم اتفاق "أمر واقع" فرضته الحكومة. وقد رَسَخ هذا الأمر الواقع فرمان من السلطان العثماني في سنة ١٧٥٧، وأعاد تأكيده فرمان آخر في سنة ١٨٥٢ أقرته القوى الأوروبية في معاهدة باريس في سنة ١٨٥٦ التي أنهت حرب القرم. انظر:

Anglo-American Committee of Inquiry, *A Survey of Palestine* (Reprint: Washington: Institute for Palestine Studies, 1991), vol. 2, pp. 898-899.

Sanjian, op. cit., p. 63.

Ibid.

R. V. Sarkissian, "The Armenian Church", in *Religion in the Middle East: Three Religions in Concord and Conflict*, edited by A. J. Arberry, vol. I (Cambridge: Cambridge University Press, 1969), p. 501.

Miabaniit'iwann Surp' Erusaghēmi, *Azgayin Endhanur Zhoghovn Zor Khnorahabar Matuts'anē* (Jerusalem: Sts. James Press, 1861);

انظر أيضاً:

Mampre V. Margossian, *Surp' Erusaghēmi Hoyots' Azgayin Masin Teghegutwinner* (Rosdov: Hovhannes Der Aprahamian Press, 1883).

Bishop Shahe Ajamian, "Sultan Abdul Hamid and the Armenian Patriarchate of Jerusalem", in *Studies on Palestine during the Ottoman Period*, edited by Moshe Ma'oz (Jerusalem: Magnes Press, 1975), pp. 344-347.

تأسست الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية في أواسط القرن الثامن عشر. حين انشقت جماعة من الأرمن عن الكنيسة الغريغورية واعترفت بسلطة البابا.

- ١١ اكتشف هذه القائمة ابن هاغوب طرزيباشيان، أبراهام طيريان، وهو باحث ذو شهرة عالمية في أدب الآباء واللاهوتيين الأرمن. انظر:
Arthur Hagopian, "Retelling the Saga of Armenians in Jerusalem", *Armtown*, 1 March 2011, <http://www.armtown.com/news/en/htq/20110301/201103019/>.
Ibid. ١٢
Ibid. ١٣
- ١٤ بين هؤلاء كان قيّم البطريكية، الأب غيفونت مقصوديان، ومعاون البطريك، وهو رجل علماني يدعى أفيديس تاشجيان.
١٥ فيما يتعلق ببعثة البطريك، انظر:
Father Ghevont Maksoudian, *Erusaghēmi Khndire* [The question of Jerusalem], vol. I (Istanbul, 1908).
Bedross Der Matossian, "Administrating the Non-Muslims and 'The Question of Jerusalem' after the Young Turk Revolution: The Cases of Jews, Armenians and Greeks", in *Late Ottoman Palestine: The Period of Young Turk Rule*, edited by Eyal Ginio and Yuval Ben-Bassat (London: I. B. Tauris, 2011).
١٧ دراسة معمقة ممتازة عن انتقال القدس من الحكم العثماني إلى البريطاني، انظر:
Abigail Jacobson, *From Empire to Empire: Jerusalem between Ottoman and British Rule* (Syracuse: Syracuse University Press, 2011).
١٨ Great Britain, Mandate for Palestine, *The Palestine Order in Council* (London: H&S, Ltd., 1922).
وتضمنت هذه الامتيازات ترتيبات "الوضع القائم" فيما يتعلق بالأمكنة المقدسة.
١٩ William L. Cleveland and Martin Bunton, *A History of the Modern Middle East* (Boulder: West View Press, 4th ed. 2009), p. 85.
وفي الممارسة العملية، فإن هذه الإصلاحات لم تُنفذ بصورة كاملة قط.
٢٠ تمثل تجديد بريطانيا في ضمّ المسلمين كملّة، الأمر الذي لم يكن كذلك في ظل العثمانيين. انظر:
Anthony O'Mahony, "The Christian Communities of Jerusalem and the Holy Land: A Historical and Political Survey", in *The Christian Communities of Jerusalem and the Holy Land: Studies in History, Religion and Politics*, edited by Anthony O'Mahony (Cardiff: University of Wales Press, 2003), p. 14.
٢١ المعروف أيضاً باسم "الاتحاد الثوري الأرمني"، وقد تأسس حزب الطاشناق في سنة ١٨٩٠، وهو عضو في الأممية الاشتراكية، وأدى دوراً بارزاً في الشتات الأرمني.
٢٢ حزب الرامغافار، أو "الحزب الليبرالي الديمقراطي الأرمني"، تأسس في سنة ١٩٢١ من اندماج فروع أحزاب ديمقراطية اجتماعية وديمقراطية دستورية شتى. وهو يدافع عن الليبرالية والرأسمالية.
٢٣ لا بد من التأكيد أنه على الرغم من الإحساس الأرمني العام بالارتباط بالقدس، إلا أن القضية الفلسطينية بحد ذاتها لم تجد صدى كبيراً لها بين اللاجئين ولأدى الإكليروس الأرمني والأخوية الأرمنية، ممن أتوا من الخارج.
٢٤ الدور القيادي الذي قام به أفراد من الطائفة الأورثوذكسية العربية في الصحافة الفلسطينية (مثل عيسى ويوسف العيسى)، والتعليم (مثل خليل السكاكيني)، والحركة القومية العربية (مثل يعقوب فزاج وإميل الغوري) هو دور لافت، وليس له مثيل لدى الجالية الأرمنية. انظر:
Sotiris Roussos, "The Greek Orthodox Patriarchate and Community of Jerusalem", in *The Christian Communities of Jerusalem and the Holy Land* (Chicago: University of Chicago press, 2003), op. cit., pp. 38-56.

- ٢٥ بين المدن المهمة التي كانت تحوي عدداً لا يستهان به من الأرمن في هذه المنطقة هناك عنتاب وأضنة وماراش.
- ٢٦ تنقسم الكنيسة الرسولية الأرمنية إلى جاثليقتين: بيت كيليكية في الغرب، وهو الآن في أنطلياس، في لبنان، وإتشميادزين في الشرق، في جمهورية أرمينية. والجاثليقية هي الرتبة الأرفع لاهوتياً، لكن بطريركية إستانبول مُنحت في زمن العثمانيين صدارة فاقت صدارة جاثليق كيليكية.
- ٢٧ Arch. Yeghishe Chillingirian, *Nkaragrut'iwnk' Erusaghēmi-Halēpi-Damaskosi gagh't'akanakan ew vanakan zanazan dipats' ew ants'k'eru: 1914-1918* [A Description of the Different Incidents and People of the Refugees and Religious People of Jerusalem, Aleppo and Damascus Alexandria], (Jerusalem: Sts. James Press, 1922), p. 14.
- وبشأن دمار الكنيسة الأرمنية في أثناء الإبادة، انظر: Simon Payaslian, "The Destruction of the Armenian Church during the Genocide", *Genocide Studies and Prevention*, vol.1, no. 2 (September 2006), pp. 149-172.
- ٢٨ Chillingirian, op. cit., p. 16; Ahmad Djemal Pasha, *Memoirs of a Turkish Statesman 1913-1919* (London: Hutchinson and Co. Paternoster Row, 1922), pp. 278-279.
- ٢٩ Zaven Der Yeghiayan, *My Patriarchal Memoirs*, translated by Ared Misirliyan, edited by Vatche Ghazarian (Barrington, RI: Mayreni Publishing, 2002), p. 113.
- وقد نُشرت الطبعة الأرمنية في مصر في سنة ١٩٤٧.
- ٣٠ من الواضح أن ستورز لم يكن يدرك أن اللاجئين من السلط هم أرمن أيضاً.
- ٣١ Sir Ronald Storrs, *Orientalism: 1881-1955* (London: I. Nicholson & Watson, 1937), pp. 344-346.
- وكان القائممقام خلال الفترة المعنية هو الأسقف يغيث تشيلينغريان. والقائممقام هو الشخص الذي يقوم بمهام البطريرك إلى حين انتخاب بطريرك جديد.
- ٣٢ George Hintlian, "Fact File: Armenians of Jerusalem", *Jerusalem Quarterly File*, no. 2 (1998), p. 40.
- ٣٣ Sion Manoogian, *Hay Yerusaghēm* [Armenian Jerusalem], (Boston, 1948), p. 55; Hintlian, "Fact File: Armenians of Jerusalem", op. cit., p. 40.
- ٣٤ Palestine Census Office, *Report and General Abstracts of the Census of 1922 Taken on the 23rd of October, 1922*. Compiled by J. B. Barron, Superintendent of the Census (Jerusalem: Greek Convent Press, 1923).
- ٣٥ Palestine Census Office, *Census of Palestine, 1931* (Alexandria: Printed for the Government of Palestine by Messrs Whitehead Morris Ltd., 1933).
- ٣٦ Manoogian, op. cit., p. 58.
- ٣٧ من أجل مزيد من المعلومات بشأن الهجرة غير الشرعية إلى فلسطين في عهد الانتداب، انظر: Said B. Himadeh, ed., *Economic Organization of Palestine* (Beirut: American University Press, 1938), pp. 28-29.
- ٣٨ مقابلة مع فارطان در ماتوسيان، القدس، ٢٥/٧/٢٠٠٥.
- ٣٩ لمزيد من المعلومات بشأن الخروج من فلسطين، انظر أعداد نشرة "سيون" ١٩٤٦-١٩٤٧.
- ٤٠ انظر: Melkon Rose, op. cit., pp. 1-13.
- ٤١ بشأن دخول القائد العسكري البريطاني اللنبي القدس، انظر: *Ibid.*, pp. 64-65.

- ٤٢ يجد القارئ سيرة كاملة للبطريك طوريان في:
Arch. Torkom Koushagian, *Eghishe Patriark` Durean* [Patriarch Yeghishe Turian], (Jerusalem: Sts. James Press, 1932).
- ٤٣ نُقل معظم الأيتام إلى بيروت حيث أقيمت في غضون العقد التالي المياتم الرئيسية. وللمزيد من المعلومات بشأن المياتم في فلسطين، انظر:
Vahé Tachjian, "Orphelinats arméniens du Liban, de Syrie et de Palestine", in *Les Arméniens 1917-1939: La quête d'un refuge*, edited by Raymond Kevorkian, Lévon Nordiguian and Vahé Tachjian (Paris: Réunion des musées nationaux; Beyrouth: Presses de l'université Saint-Joseph, 2007); Nefissa Naguib, "A Nation of Widows and Orphans: Armenian Memories of Relief in Jerusalem", in *Interpreting Welfare and Relief in the Middle East*, edited by Nefissa Naguib and Inger Marie Okkenhaug (Leiden and Boston: Brill, 2008), pp. 35-56.
- ٤٤ "Paghēstini erkrasharzhē ew luseghēn marminē" [The Earthquake of Palestine and the luminous Body], *Sion*, no. 9 (September 1927), pp. 284-286.
ولوصف شاهد عيان للزلزال انظر:
Jacob Orfali (Hagop Khatcherian), *An Armenian from Jerusalem* (Berkeley: Ronin, 1987), p. 30.
- ٤٥ سُمي البستان على اسم كريكور بارون در، بطريك القدس الأرمني خلال الفترة ١٧١٥-١٧٤٩.
Koushagian, op. cit., p. 28
- ٤٦ وكانت هاتان العائلتان من المحسنين الكبار، وأدتا دوراً بارزاً في مساعدة الأرمن. ويجد القارئ وصفاً لحفل الافتتاح في:
"Saghimayah Kiank'en", *Arev*, 8 October 1927, p. 2.
Koushagian, op. cit., p. 286.
- ٤٧ يشير الاسم "سيون" إلى جبل صهيون، وقد صدرت النشرة أول مرة في سنة ١٨٦٦، وكانت عادة تغطي المعلومات الدينية والأدبية ولا تقدم سوى حد أدنى من المعلومات عن الجالية.
- ٤٩ أسس الكلية اللاهوتية بطريك إستانبول، خورين أشكيان في أرماش (أكميثش) قرب إزميت، في العقد الأخير من القرن التاسع عشر. انظر:
Chillingerian, op cit., p. 16.
- ٥٠ ولمعلومات مفصلة عن التعليم الديني في البطريركية الأرمنية، انظر:
Manoogian, op. cit., pp. 129-139.
- ٥١ ويشأن موقف البريطانيين من رفض أي تمثيل قومي، انظر:
Arab-Israeli Relations 1917-1970, from the British National Archives Title: Transjordan and Palestine Detail: Election of a New (Gregorian) Armenian Patriarch of Jerusalem, Date: 1931, Subject: Passfield White Paper, October 1930: Language: English Document Reference: FO 371/15333-0017; National Archives Reference: FO 371/15333.
- ٥٢ Arshag Alboyajian, T'orgom Patriark' Gushakean [Patriarch Torkom Koushagian], (Cairo: Sevan Press, 1940), p. 611.
- ٥٣ كان السينودس يضم سبعة من الإكليروس تنتخبهم أخوية مار يعقوب، ويشرفون مع البطريك (الذي يتأسس السينودس) على أعمال البطريركية.

- Alboyajian, op. cit. ٥٤
وبشأن التعديلات في الدستور، انظر:
"Inch'bēs Piti Ėnterwi Erusaghēmi Patriark'ē", *Arev*, 7 July 1930, pp. 1–2.
وفيما يتعلق بالاجتماع، انظر:
"Patriark'agan Ėntrut'iwnč", *Arev*, 4 August 1930; Miabanut'iwn Srbots' Hakobeants', *Kanon Miabanakan Ukhtin Arak'elakan At'ory Srbots' Hakovbeants'* [Constitution of the Apostolic Sts. James Brotherhood], (M. Sareyan Press, 1887), pp. 13–14.
- ٥٥ إن دور بريطانيا في تغيير الدستور جنب الأخرية، منذ ذلك الحين فصاعداً، تدخل الجماعة العلمانية، الأمر الذي ترتبت عليه عواقب مهمة بعد سنة ١٩٤٨. وتملك البطريركية عقارات شاسعة، غير أنه بعد أن أزيل عنها كل إشراف، وجرى حد كثير من دور الجماعة التقليدي، لم يبق الكثير مما يحول دون سوء إدارتها، واختلاسها، وفضائح بيع أملاك الكنيسة للمستوطنين والمستثمرين اليهود.
- ٥٦ انظر: "Ėchmiadzin yev Erusaghēmi Ėntrut'iwnnerč", *Arev*, 2 March 1931, p.1; "Erusaghēmi Patriark'ut'ėiwn", *Arev*, 16 January 1932, p. 1; "Erusaghēmi Azgin", *Arev*, 31 January 1931, p. 1; "Erusaghēmi Patriark'ut'ėiwn", *Arev*, 17 January 1932, p. 1.
- وقد اقترحت "أريف" - في حال موافقة بطريركية القدس - تشكيل هيئة أرمنية جديدة تنتخب بطريرك القدس، مؤلفة من المقامات المقدسة (في إستانبول، والقدس، وإتشميادزين، وكيليكية - الذي هو الآن في أنطلياس في لبنان)، وتنتخب واحداً من ثلاثة مرشحين، انظر:
"Erusaghēmi Azgin", *Arev*, 18 January 1932, p. 1.
- Alboyajian, op. cit., pp. 611–613. ٥٧
- Vahram Goekjian, *Hay Erusaghēmē Dareru Mechēn* [Armenian Jerusalem Through the Centuries], (Jerusalem: Sts. James Press, 1965), p. 125. ٥٨
- Alboyajian, op. cit., p. 629 ٥٩
- "مراسلات البطريرك ميسروب نيشانيان الخاصة"، المجلدات ١ و ٢ و ٣ و ٤ (القدس: مكتبة غلبنكيان). ٦٠
- لمزيد من المعلومات عن الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية، انظر: ٦١
- Rev. Parsegh Sargsian, "Kat'oghikeats' Hayots' Tiramor Talgatsmane Nwiryal", *Pazmaveb* (1906), pp. 511–516.
- "Nepast Paghestini Hayut'ean krdakan dsakhsk'in" [Aid to the Educational Expenses of the Armenians of Palestine], *Sion*, no. 3 (1930), pp. 95–96. ٦٢
- كان في المدرسة نحو ٧٥٠ طالباً خلال الفترة ١٩٤٤–١٩٤٥، وذلك تبعاً لتقريرها السنوي. انظر: ٦٣
- Serovpe Manoogian, *Hushagirk' Srbots T'argmanch'adz Varzharani* [Almanac of Holy Translators School], (Jerusalem: Sts. James Press, 1945), pp.12, 21.
- ولمعلومات عامة بشأن النظام التعليمي العربي في فلسطين الانتداب، انظر: ٦٤
- Abdul Latif Tibawi, *Arab Education in Mandatory Palestine: A Study of Three Decades of British Administration* (London: Luzac, 1956).
- ٦٥ من أكبرها وأهمها: "جمعية اليتامى الراشدين" (التي تشكلت في عشرينيات القرن العشرين)؛ "جمعية سيون الثقافية" (١٩٢٠)؛ "الاتحاد الخيري الأرمني العام في القدس" (١٩٢٥)؛ "جمعية الشباب الأرمني" (١٩٢٩)؛ "الجمعية العلمية الفيزيائية الأرمنية في فلسطين" (١٩٣٢)؛ "جمعية الصليب الأحمر الأرمني" (١٩٣٢)؛ "الاتحاد الرياضي العام الأرمني والكشافة" (١٩٣٥)؛ "جمعية أراكس الأرمنية الكاثوليكية" (١٩٣٥)؛ "الجمعية الثقافية الأرمنية في القدس" (١٩٣٩)؛ "الجمعية الموسيقية الأرمنية في القدس" (١٩٣٩). وبين هذه الجمعيات جميعاً لم يكن للـ "كاغاكاتسي" سوى "الاتحاد الخيري".

- ٦٦ قبل حرب ١٩٤٨، كان في فلسطين نحو خمسة وستين نادياً رياضياً، وكانت المناسبات الرياضية تجتذب آلاف المشاهدين. وثمة مقالة ساحرة عن الرياضة في زمن الانتداب في فلسطين، هي:
Issam Khalidi, "Body and Ideology: Early Athletics in Palestine (1900-1948)", *Jerusalem Quarterly*, no. 27 (Summer 2006), pp. 44-58.
انظر مثلاً:
- ٦٧ "Homentmen Club Bouts: Good Fighting under Spartan Conditions", *Palestine Post*, 19 July 1940, p. 4.
- ٦٨ بين هؤلاء كان هناك: مارغوس كتشديان؛ أرميناج هاغوبيان؛ نازاريت مانبريان؛ أرتين كيمكسيان؛ أوهانيس ميسلسيان؛ هاغوب ناوروسيان.
- ٦٩ ولوصف نابض بالحياة لمباراة ماردو، انظر:
Dorothy Kahn Bar-Adon, "For Men Only: A Woman Looks at a Boxing Match", in *Palestine Post*, 2 February 1941, p. 6.
- ٧٠ نشرت الـ *Palestine Post*، مثلاً، تقريراً عن حفل لـ "الجمعية الموسيقية الأرمنية في القدس"، في ٦ تموز/ يوليو ١٩٣٩، في قاعة جمعية الشباب المسيحي "التي غصت بالجمهور"، وأشارت إلى جودتها الممتازة المنضبطة التي "لا تفوقها أي جوقة أخرى في فلسطين". انظر:
"Armenian Music Concert at YMCA", *Palestine Post*, 7 June 1939, p. 15.
- ٧١ تحولت منطقة باب يافا إلى مركز تسوق في نهاية القرن التاسع عشر، وغدت مكان التقاء المدينة القديمة والمدينة الجديدة والقرى المحيطة. انظر:
Melkon Rose, op. cit., p. 30.
- ٧٢ Rochelle Davis, "The Growth of the Western Communities: 1917-1948", in *Jerusalem 1948: The Arab Neighborhoods and Their Fate in the War*, edited by Salim Tamari (Jerusalem: Institute for Jerusalem Studies and Badil Resource Center, 1999).
- ٧٣ انظر:
A Survey of Palestine, Prepared in December 1945 and January 1946 for the Information of the Anglo-American Committee of Inquiry, vol. II. Reprinted with permission from Her Majesty's Stationary Office (Washington: Institute for Palestine Studies, 1991), p.738.
- ٧٤ يقول ميلكون روز إن عدد الأرمن القادمين من خارج المدينة القديمة، والذين يلتمسون فيها ملاذاً لهم، هو ٤٠٠٠ شخص. انظر روايته في:
Melkon Rose, op. cit., pp.193-201.
- ٧٥ انظر:
Harutiun Mushian, *Erusaghēm Agheteal [Jerusalem Hit by Catastrophe]*, (Buenos Aires: Ararat Press, 1952), pp. 66-74.
- ٧٦ P. J. Vatikiotis, "The Siege of the Walled City of Jerusalem, 14 May-15 December 1948", *Middle Eastern Studies* vol. 31, no. 1 (January 1995), pp. 139-145.
- ٧٧ للاطلاع على قائمة كاملة بأسماء الأرمن الذين قُتلوا في القدس خلال حرب ١٩٤٨، انظر:
Mushian, op. cit., pp. 75-84.
- ٧٨ "Paghēstinē yerēk ew aysōr" [Palestine Yesterday and Today], *Sion*, no. 7-8 (July-August 1948), p. 198.
- ٧٩ لمعلومات مفصلة بشأن تأثير حرب ١٩٤٨ في الأرمن، انظر:
Mushian, op. cit.